الحب يرفض المشاركة

أي حديث لم أطرقه وعفيف في جولاتنا ونزهاتنا، وأي مكان ذهبنا اليه لم يسحر بوهج عاطفتنا.. قلت له:

-ان إخلاص المرأة للحياة الزوجية ليست فضيلة تفخر بها.. ولم ألبث حين تفوهت بتلك الجملة أن وجدتها تحمل معنى آخر مناقضا لما عنيت فأردفت على عجل: "أعني أن عليها أن تخلص لها حتى لو لم يخلص لها الرجل..

كنا نرتكز الى درابزين جسر خشبي على نهير هادر في أحد المطاعم والجو مفعم برطوبة بَرودة في ذلك المكان الكثيف الأشجار ممتزجة برائحة شواء خفيفة. وبالرغم من انتهاء موسم الصيف كان المكان ينسجم معنا لقلة روّاده.

أمسك بذراعي ونحن نعود الى مائدتنا وقال: "ان طبيعة الحب ترفض كل مشاركة.. وعلى الرجل أن يخلص حتى لعشيقته ما دامت بينهما علاقة حميمة قائمة، فكيف بزوجته؟ ان كل انحراف لا يقتصر ضرره على العاطفة وحدها أو الأسرة بل الى تفكير الإنسان وسلوكه الإجتماعي ويوهن شخصيته..

وعندما عدنا الى المعرض وجدت أخي وأختي ينتظراني وقد قطع أخي تذاكر لسفرنا في اليوم التالي، ودعانا عفيف جميعنا لحضور فيلم فاعتذر أخي معتصم اذ كان صديقه ينتظره ليطوفا بالمعرض، وذهبت أختي معنا..

لم أستطع أن أنام تلك الليلة وقد ضاق صدري بأشواقه، انتصرت علي ارادة الحياة، لكأنما أسبح عبر شلال ساخن.. بعد أسبوع بعد أسبوعين، بعد شهر سنكون زوجين.. ان الحب جميل، ولكن هل الزواج جميل أيضا؟ ان برنارد شو في احدى مسرحياته يقول أن المرأة تفقد سحرها بالنسبة للرجل بعد ثلاثة أيام من الزواج!

فرحت أمي لنبأ خطوبتي واكتأب أخي عادل، وقف قرب سريري واجما وقال:

-المنزل سينطفئ، ولن يساوي شيئا بعدك..

كان ينظر الي وفي عينيه دهشة وتأنيب خفي، لكأنما لا يستطيع احتمال تصور أن ينتزعني من البيت رجل غريب فأقبل على الأمر بغبطة وسرور.. وأدركت أي فراغ سيشعر به بدوني فقلت له باسمة:

-تزوج! يجب أن تتزوج..

وتنهد بمرارة وقال: "أتزوج! وقبل أن أطمئن على مستقبل إخوتك؟ وأشـاح بوجهه وخرج من الغرفة..

لقد احتللت منذ صباي مكانة المرشدة للكبير والصغير في أسرتي وأصبحت أما ثانية لإخوتي أسد الفراغ الذي يحدثه انشغال أمي الدائب في شؤون البيت، مما يجعلها متوترة الأعصاب من الإرهاق في كثير من الأحيان..

كان الجميع يأتوني بمشكلاتهم وهمومهم الصغيرة والكبيرة فأشعر أن ألم كل فرد فيهم هو ألمي، وهمه همي، وينغص قلبي أنني لا أستطيع لآلامهم وهمـ ومهم دفعا.. انها حالة عامة، ومشكلة يعانيها كل من شردوا عن فلسطين..

* * *